الحضور الصوفي...والمعرفة الروحية
كتاب خاتمة الرسائل لأهل الوسائل
للشيخ سيدي عدة بن غلام الله

حمدادو بن عمر*

توطئة*:

شكل القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين(12-13هـ/18-19م) نقطة تحول بارزة في تاريخ التصوف بالجزائر على مستوى التأليف والتنظير والممارسة. ثم تكاملت عناصر هذا التحول وترسخت قواعده من خلال الحضور الفعلي المباشر للمتصوفة في قلب

* -أستاذ **قسم التاريخ وعلم الآثار جامعة وهران الجزائر.**

* - Avant propos :Dans le douzième et treizième siècles (12-13AH/AD18-19),un tournant marquant dans l'histoire du soufisme en Algérie sur la théorie et la pratique et la composition . Ensuite, les éléments intégrés de cette transformation et les règles établies de la fréquentation durant les événements mystiques directs réels dans le cœur de la vie sociale, politique et culturelle, qui définit le pays pour la première moitié du XIIe siècle (12e/18m) et après.

Aujourd'hui le chercheur algérien dispose d'important matériaux source de l'intérêt pour les domaines de la mystique dans diverses manifestations, qui ont fourni un terrain fertile pour les affaires et la valeur de la recherche est considérée comme le début de l'accumulation de l'expérience scientifique nous fera oublier et sans doute ce que nous ressentons au niveau de la pauvreté du sujet. Et suite au tendances de, « l'Université d'Alger " au patrimoine algérien ancien et nouveau, nous étions impatients de nouveaux sommets, dans la sélection et la manipulation, le patrimoine et la culture algérienne est devenu, au premier rang dans les désirs les plus intimes et la réalité de la recherche et des études, mais nous avons vu que -d'autres hors les Algériens – qui recueillir la force orientalistes à battre manuscrits, malgré celui les difficultés de l'écriture, et la pourriture et l'ancienneté de l'histoire...

Et ont entrons dans le domaine de la recherche, nous étions embrouillées devant la participation des mystiques scientifique, qui comprenait différents arts ; mais avec des degrés divers de l'art à l'autre. Bien que la méthode de recherche ne nécessite pas un repos à tous les aspects de soufis qui touchés tout les sciences des arts différents, " Cependant, il a recensé un nombre important de contributions scientifiques qui englobent quelques exemples qui peuvent être suffisantes et qui aident a clarifier leurs doctrines et fins".

Nous avons opté pour un manuscrit messages Conclusion de la population des moyens de Sidi Adda Ben Ghoulamallah, comme un modèle et comme une contribution à la connaissance de ces soufis dans le comportement sur le terrain spirituel.

L'étude, qui a été l'un des premiers de nos préoccupations a été le passage vers la sortie d'un certain nombre de blogs et de l'étude et de la réalisation patrimoine; selon de nouveaux programmes dans les domaines des sciences humaines et socio- anthropologique. Il en est ainsi que les chercheurs ont établi des relations et des ponts de connaissances reliant le présent au passé, cela est la vision d'un chercheur académique qui presque toujours a la recherche de la vérité historique, des sources originales et sous-jacente que nous avons besoin d'éclairer et de la définir.

الأحداث الاجتماعية والسياسية والثقافية التي عرفتها البلاد طوال النصف الأول من القرن الثاني عشر(12هـ/18م) وما بعده.

ويتوفر اليوم الباحث الجزائري على مادة مصدرية هامة تهم مجالات التصوف بمختلف تجلياته، مما وفر أرضية خصبة لأعمال وأبحاث قيمة تعتبر بداية لتراكم تجربة علمية ستجعلنا ولاشك ننسى ما كنا نشعر به من فقر في الموضوع، ونتطلع بأمل ويقين إلى منجزات أخرى تبني وتؤسس لتاريخ ثقافي وعلمي متكامل.

وبفضل توجهات " الجامعة الجزائرية " إلى التراث الجزائري، القديم منه والحديث، صرنا نتطلع إلى آفاق جديدة، في الاختيار والتناول، وأصبح التراث الجزائري وثقافته، يحتل المرتبة الأولى في طوية الرغبات وواقع البحث والدراسات، بل إننا رأينا- من غير الجزائريين – من يستجمع قوته من المستشرقين ليخوض معركة المخطوطات، رغم ما يلابس ذلك من صعوبات الخط، وعفونة التاريخ والقدم...

ورغم الممارسة التي تـأصلت في تربة نفسي في حقل الدراسات التراثية، إلا أن الخوض في مثل هذه الحقول العلمية غالبا ما يكون مصحوبا بالحيطة والحذر، لأن موضوع المساهمة العلمية لمتصوفة الجزائر عموما ومتصوفة الناحية الغربية من بلادنا خصوصا؛ من أهم المواضيع التي نوصي طلبتنا بإعطاء حيز لها، وجعلها ضمن اهتماماتهم البحثية.

ومع توجيهات بعض الزملاء المستمرة، وحرصهم الشديد على حصر هذا البحر الذي لا ساحل له، قد رسمت لنا الصورة المطلوبة، فزاد ذلك من قوة عزيمتنا وإصرارنا بما يفرضه علينا مجال البحث على تناول مثل هذه المواضيع.

وبينما كنا نخوض معترك البحث، فإذا بنا نقدم رجلا ونؤخر أخرى باقين حائرين أمام مساهمة هؤلاء المتصوفة العلمية التي شملت فنون مختلفة؛ ولكن بنسب متفاوتة من فن لآخر. ولئن كان منهج البحث لا يتطلب بالضرورة الوقوف عند كل مظهر من مظاهر تأثر المتصوفة بكل فنون العلم المختلفة، غير أنه قد رصد جملة لا بأس بها من وجوه المساهمة العلمية والمتمثلة في عدد من النماذج والأمثلة لعلها تكون كافية للدلالة على سواها، ومسعفة في الوقت نفسه على بيان مذاهبها ومقاصدها. واخترنا مخطوط خاتمة الرسائل لأهل الوسائل لسيدي عدة بن غلام الله، كنموذج معرفي وكمساهمة من هؤلاء المتصوفة في مجال السلوك الروحاني.

وممّا يزيد من أهمية موضوع الدراسة هو حاجة التنقيب عن مثل هذه المخطوطات والمدونات التي تعكس بأمانة وصدق أصداء مساهمة متصوفة الجزائر وحضورهم الصوفي خلال القرن الثامن عشر والتاسع عشر، من خلال دراسة تراثهم الأدبي والفكري والعلمي، ودور ذلك في إرساء دعائم قواعد الثقافة والمعرفة الروحية في ربوع الغرب الإسلامي، وهو أمر لم يحصل من قبل في الدراسات السابقة، ولم يحظ بعناية الباحثين والدارسين إلا عرضا.

وقد جاءت هذه الدراسة التي كانت من أولى اهتماماتنا فيها المضي قدما نحو إخراج عدد من المدونات التراثية ودراستها وتحقيقها؛ وفق مناهج جديدة ضمن حقول الدراسات الإنسانية والسوسيو أنثروبولوجية. وهذا حتى يتسنى للباحثين إقامة علاقات وجسور معرفية تربط الحاضر بالماضي، وهي رؤية الباحث الأكاديمي الذي يسعى دائما نحو البحث عن الحقيقة التاريخية، من أمهات المصادر الأصلية الدفينة والتي تحتاج منا إلى تنويه وتعريف. وقبل أن نلج في صلب الموضوع ارتأينا أن نعطي لمحة موجزة عن المؤلف ثم التعريف بكتابه ومن ثم تقديم مقتطفات منه للباحثين والمهتمين بالتراث الصوفي والروحي بالجزائر.

التعريف بحياة المؤلف

نسبه وأسرته:

الشيخ سيدي عدة بن محمد الموسوم بن غلام الله بن عبد الرحمن بن أبي القاسم بن محمد الخياطي (دفين بوقادير) ابن أبي عبد الله محمد المغوفل (دفين بطحاء شلف) ابن محمد بن واضح بن عثمان، بن سيدي الحاج عيسى بن محمد الملقب" بفكرون" بن القاسم بن عبد الكريم بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن عب الواحد بن محمد بن عبد السلام بن مشيش بن أبي بكر بن علي بن محمد المدعو حرمة بن عيسى بن سالم الملقب بأبي القاسم بن مزوار بن علي الملقب حيدرة بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن ادريس الأصغر بن ادريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم[1].

[1]- الشيخ الإمام أبو عبد الله شراك، وثيقة تاريخية تثبت نسب سيدي عدة بن غلام الله، مسجد الشريفية، وهران. للتنويه فإن الشيخ أبي عبد الله شراك لم يبخل عنا بمعلوماته القيمة وتزويدنا بمصنفات الشيخ سيدي عدة بن غلام الله أو حتى بمصنفات أعلام المنطقة الغربية على وجه الخصوص. فله منا جزيل الشكر وكامل الامتنان.

والشيخ سيدي عدة بن غلام الله سليل أسرة عريقة، اشتهرت بالعلم والورع والصلاح والجهاد، وكان جده الأكبر سيدي أبي عبد الله محمد المغوفل[1] صاحب بطحاء شلف من الأولياء الصالحين، أما والده فكان شيخ زاوية ومدرسا وعالما زاهداً. توفي عام 1226هـ/ 1811م. عن عمر يناهز الخمسة وسبعين سنة.

المولد والنشأة: في أحضان هذه الأسرة العريقة التي توارثت العلم كابرا عن كابر. ولد الشيخ سيدي عدة بقرية تدعى" مشتى الفقراء"[2] وهي الآن تسمى الزاوية، تقع ما بين اجديوية[3] ووادي ارهيو سنة 1208هـ/1783م. نشأ في أسرة اشتهر أهلها بالعلم والصلاح والجاه. فتولاه والده الذي كان عالما ومدرسا بالقرية المذكورة آنفا، بالعناية حيث أخذ مبادئ العلوم الأولى في زاوية والده أين حفظ بها القرآن الكريم[4].

قد تظهر في أول نشأة الإنسان علامات يعزّ بها أو يهان، فيستدل على ما يكون بما كان، ورب فراسة أصدق من العيان، فتعلم مبادئ القراءة والكتابة على يد والده كما سبق ذكره، ثم على يد معلم الصبيان الشيخ سيدي الجيلالي بن المولود البوعبدلي حيث قرأ عليه القراءات السبع. لينتقل بعدها رفقة والده إلى القلعة وبالضبط بقرية الدبّة، والتي كانت عاصمة العلم والعلماء آنذاك. درس بها العلوم النقلية والعقلية على يد الشيخ سيدي الحاج بن حمو، وابنه الشيخ سيدي أحمد بن حمو. وفي عام 1226هـ/ 1811م توفي والده يوم الثلاثاء من شهر شوال وبقي في كفالة جده.

كما يذكر الشيخ سيدي عدة مرضه الذي كاد والداه أن ييأسا قائلا:" إني مرضت حتى كاد الأبوين أبي الموسوم وجدي غلام الله- رحمهما الله – في اليأس من الحياة وقدم عندنا لبيت الشيخ بلمهل المازوني الساكن في بوعلوفة أستاذ الأبوين"[5].

ثم يواصل حديثه:" ثم نطق الجد غلام الله قائلا: أيها الشيخ ما عند الموسوم ولد إلا هذا الولد، هو الذي ننظر إليه يعمر، أدع له بالشفاء، وأن يكون عالما ولياً، وإلا فيموت صغيرا أولى. فضحك الشيخ حتى حضرته الدموع وهو يقول سبحان الله هكذا تكون الرجال، إن لم

---

[1]- أنظر دراستنا عن هذه الشخصية: محمد أبو عبد الله المغوفل، (828-923هـ) دفين وادي شلف والتعريف بكتابه فلك الكواكب وسلم الرقيا إلى المراتب، "المجلة الجزائرية للمخطوطات، مخبر مخطوطات الحضارة الاسلامية في شمال إفريقيا، جامعة وهران، ع5، 2008م، ص ص: 183-194.

[2]- وتسمى أيضا مشتى الغرق، وهي بلاد سيدي محمد فغول قرب ضريحه ببطحاء شلف

[3]- جديوية: بلدية من بلديات ولاية غليزان، تبعد عن مر الولاية بحوالي 15 كلم.

[4]- الشيخ سيدي محمد الموسوم والشيخ سيدي عدة.

[5]- الشيخ أبو عبد الله شراك، مخطوط نبذة حول حياة الشيخ سيدي عدة بن غلام الله، مخطوط خزانة الشيخ أبو عبد الله شراك. ورقة:08.

يكن الولد عالما ولياً فموته أولى. فقال له الجد:" نعم، فنطق الشيخ ووضع يده على رأسي وقال:" إن قرأ فهو عالم..."[1].

دراسته بمدرسة مازونة الفقهية:

لقد كان لعلماء مازونة وصلحاء سهل الشلف والريف الغربي عامة الدور الكبير في المحافظة على تماسك المجتمع ووحدته في مواجهة أهل الزيف والانحراف، وقد عاصر وتتلمذ على يد المازوني النوازلي كبار فقهاء القرن العاشر الهجري من أمثال العلامة **أحمد بن يحيى الونشريسي**[2] صاحب المعيار الذي ترك سيرة حسنة وعلمًا ينتفع به إلى اليوم.

يرجع الفضل في بروز مدينة مازونة إلى الوجود كحاضرة علمية إلى الهجرة الأندلسية التي استقرت بها فأسست بها هذه الجالية الموريسكية زراعة وصناعة فأصبحت شبيهة بقراهم ومدنهم الأندلسية وكنا قد أشرنا في عمل سابق لنا أن كل مدينة تظهر بالمغرب الأوسط ناتجة عن استقرار الأندلسيين الفارين بدينهم من أسبانيا ومحاكم التفتيش، وعلى سبيل التمثيل لا الحصر نذكر الهجرة الموريسكية إلى مازونة، فبها ظهرت مدرسة مدينة مازونة التي أقامها **الشيخ محمد بن الشريف البولداوي**، وهي نموذج من نماذج مدارس الجهة الغربية من المغرب الأوسط[3].

ثم أسس الفقيه العارف محمد بن علي الشارف المازوني مدرسة تربوية بمازونة في بداية القرن الحادي عشر الهجري، وقام بالتدريس فيها إلى أن لقي ربه، ثم تجدد ازدهار المدرسة على يد الشيخ أبو طالب محمد بن علي، في بداية القرن الثاني عشر الهجري، وخلفه على المدرسة أخوان من أبرز تلامذة المدرسة هما: الشيخ **محمد بن هني** وشقيقه الشيخ **عبد الرحمن بن هني**[4].

---

[1]- مخطوط نبذة حول حياة الشيخ سيدي عدة بن غلام الله، ورقة:11.

[2]- الونشريسي (834-914هـ=1430-1508م) أحمد بن يحيى بن محمد الونشريسي التلمساني، أبو العباس: فقيه مالكي، أخذ عن علماء تلمسان، ونقمت عليه حكومتها أمرا فانتهبت داره وفر إلى فاس سنة 874هـ فتوطنها إلى أن مات فيها، عن نحو 80 عاما. من كتبه(إيضاح المسالك إلى قواعد الامام مالك) و(المعيار المعرب عن فتاوي علماء إفريقية والاندلس وبلاد المغرب) اثنا عشر جزءا، و(القواعد) في فقه المالكية، و(المنهج الفائق، والمنهل الرائق في أحكام الوثائق) و(غنية المعاصر والتالي على وثائق الفشتالي) و(نوازل المعيار).خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ط1980، ج1، ص:269.

[3]- *Belhamissi(m), Mazouna, une petite ville, une langue histoire, Alger, SNED,1982.P:49.*

[4]- بوعبد الله غلام الله، **نظرة عامة على التعليم الأهلي في سهل الشلف خلال النصف الأول من القرن العشرين** (أعمال الأسبوع الوطني الثالث للقرآن الكريم) الجزائر، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف **1424هـ/2003م**.ص:**37**.

وممن درس وتخرج من مدرسة مازونة الشيخ سيدي عدة بن غلام الله مجدد الطريقة الشاذلية ومؤسس الزاوية في جبل محنون بضواحي تيارت، وأبي راس الناصر المعسكري[1]،...والتي رحل إليها عام1227هـ/ 1812م، حيث كانت تستقبل طلاب العلم بسبب انتشار شهرتها العلمية والأدبية والفقهية، ووفرتها لعدد من العلماء الأجلاء أمثال الشيخ سيدي أبي طالب المازوني، والشيخ سيدي محمد بومهدي والشيخ سيدي التهامي. لينتقل بعدها إلى قرية ماقر بعرش بسناس، وذلك عند الشيخ العلامة سيدي محمد بن عبد الرحمن فأخذ عنه التوحيد والنحو وعلم الحديث وعلم الأصول، ولما تضلع في العلوم النقلية والعقلية وأنهى تحصيله العلمي تصدر للتدريس بزاوية أبيه كما تفرغ للإمامة والفتوى وإصلاح ذات البين وإطعام الفقراء والمساكين.

هكذا كانت مازونة[2] مدرسة وحاضرة فقهية، ولا نعدم البحث في تراث هذه الحاضرة التي كانت في يوم ما عاصمة بايلك الغرب الجزائري؛ فنعثر على مصادر دفينة تمكننا من سد فجوات كبيرة في تراثنا الفقهي خاصة والعلمي عامة.

لقد كان لزوايا العلم والمعرفة المكانة الكبيرة في الحفاظ على القرآن والسنة النبوية، فلا تخلو حاضرة أو قرية أو تجمع ريفي بالغرب الجزائري إلا وفيه للعلم والمعرفة زاوية مشهورة أو شيخ رباني قعد للتدريس وتهذيب الناشئة[3].

شيوخه:

من العلماء الذين نهل منهم الشيخ سيدي عدة بن غلام الله علمه وورعه، نذكر جملة منهم:

1. والده الشيخ سيدي محمد الموسوم
2. الشيخ سيدي الجيلالي بن المولود البوعبدلي
3. الشيخ سيد الحاج بن حمو
4. الشيخ سيدي أحمد بن حمو
5. الشيخ سيدي الحاج محمد بن عبد الرحمن

---

[1]- أنظر: دراستنا أبو راس الناصر وكتاباته التاريخية، رسالة ماجستير مخطوطة، إشراف أ.د بن نعمية عبد المجيد، جامعة وهران، 2003م.

[2]- مازونة: بلدة بالمغرب بالقرب من مستغانم، وهي على ستة أميال من البحر، وهي مدينة بين أجبل، ولها مزارع وبساتين وأسواق عامرة، ولها يوم يجتمع فيه لسوقها أصناف البربر بضروب من الفواكه والألبان والسمن، والعسل بها كثير، وهي من أحسن البلاد صفة وأكثرها فواكه وخصباً. محمد بن عبد المنعم الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، طبع على مطابع دار السراج، ط2، 1980، ص:521.

[3]- بلغيث محمد الأمين، مدراس العلم والقرآن الكريم بالغرب الجزائري، منذ القرن التاسع الهجري، الخامس عشر الميلادي، قراءة تاريخية. ص:02.

6. الشيخ سيدي محمد بوطالب المازوني[1]
7. الشيخ سيدي محمد بومهدي المازوني[2]
8. الشيخ سيدي التهامي المازوني[3]

توليه القضاء على عهد الأمير عبد القادر:

لما سمع الأمير عبد القادر بشخصية الشيخ سيدي عدة بن غلام الله[4] وعلمه وعدله وصلاحه، أسند إليه منصب القضاء، فقبله بعد تردد وباستشارة من شيخه سيدي مولاي العربي بن عطية، وكانت خطة القضاء التي كان يشرف عليها تمتد من وادي مينا والظهرة إلى وادي أسلي بالشلف[5].

ولقد كان الأمير عبد القادر يحبه ويحترمه، ويتجلى لنا ذلك من خلال ما كتبه الشيخ سيدي عدة بن غلام الله في سيرته الذاتية قائلا:" وبقيت معه يحبني ويعظمني بحيث إذا قرأ رسالتي يبلها ويضعها فوق رأسه" ويواصل حديثه قائلا:" وفي سنة 1257هـ/ 1841م كنت معه جنبي لجنبه قال له خديمه:" لعل أهل الشلف إن هجرنا لا يخرج معنا إلا عدة بن غلام الله، فقال له:" إن خرج عدة كأنهم خرجوا أهل الشلف"[6].

وبقي قاضيا عدلا إلى عام 1257هـ/1841م أين انتقل بعائلته وسكن بقرية الحمايدية قرب قرية عمي موسى إلى غاية 1258هـ/1842م.

تلاميذته:

إن مكانة وهيبة الشيخ سيدي عدة بن غلام الله وعلمه وورعه، كل هذه المواصفات جعلت منه شخصا مؤثرا في جميع التراكيب الاجتماعية آنذاك، فراح أتباعه ومريدوه يلتفون حوله ناهلين منه علمي الشريعة والحقيقة. من ين تلامذته نذكر:

1. الشيخ سيدي الموسوم صاحب قصر البخاري
2. الشيخ سيدي بن عبد الله الغريسي

---

[1]) *Belhamissi (m), Mazouna, p:50* .

[2]) *Ibid,p :52*.

[3]- أبو عبد الله شراك، مخطوط " نبذة حول حياة سيدي عدة بن غلام الله" خزانة الشيخ أبي عبد الله شراك، المدينة الجديدة وهران. ورقة:15.

[4]- المصدر نفسه، ورقة: 15.

[5]- شلف: نهر بالمغرب مشهور بقرب مليانة، وعليه مدينة قديمة أزلية فيها آثار أولية كانت تسمى شلف، واليها ينسب هذا النهر وهي اليوم خراب. الروض المعطار في خبر الأقطار، المصدر السابق، ص:343.

[6]- الشيخ عدة بن غلام الله، السيرة الذاتية، ناسخه الشيخ أبي عبد الله شراك، ورقة:12

3. الشيخ سيدي الحاج البشير بن حواء الغريسي
4. الشيخ سيدي علي لقرع الغريسي
5. الشيخ سيدي محمد بن إبراهيم الغريسي
6. الشيخ سيدي محمد بن أحمد بربارة
7. الشيخ الحاج محمد البوعبيدي العطافي
8. الشيخ أحمد بالمختار البوعبدلي
9. الشيخ سيدي محمد بالمختار البوعبدلي
10. الشيخ سيدي الحاج الطاهر البوعبدلي
11. الشيخ سيدي المصطفى البوعبدلي
12. الشيخ سيدي أحمد العصنوني
13. الشيخ سدي محمد الغالي بن هني
14. الشيخ سيدي محمد بن عيسى

القائمة طويلة جدا لا يمكننا حصرها إلى جانب علماء من تونس ومراكش درسوا على يد الشيخ سيدي عدة بن غلام الله.

مؤلفاته:

خلف الشيخ سيدي عدة بن غلام الله كما هائلا من المخطوطات النفيسة والذخائر القيمة، لا زالت إلى يومنا هذا حبيسة الرفوف، وشاهدة عيان على قيمة ما ألفه صاحبها. نذكر منها:

1. كتاب مفتاح القلوب في حديث النبي المحبوب[1]
2. كتاب نتيجة الفتاح كطلوع الفجر للصباح[2]
3. كتاب ريحان القلوب في الصلاة على النبي المحبوب[3]
4. كتاب دليل النجاة المبلِّغ لروضات الجنات على أربعة أرباع
5. كتاب الجمعة على نمط تنبيه الأنام[4]
6. كتاب ألفية رمضان

[1]- يقع هذا الكتاب في جزأين ويوجد بالخزانة العداوية بتيارت.
[2]- يقع هذا الكتاب في جزأين ويوجد بالخزانة نفسها.
[3]-يقع هذا الكتاب في جزأين ويوجد بالخزانة نفسها.
[4]- يقع هذا الكتاب في جزأين ويوجد بالخزانة نفسها.

7. كتاب الصبيان على متن السنوسية
8. كتاب رسالة الكراس[1]
9. كتاب طليعة السعداء

وفاته: توفي الشيخ سيدي عدة يوم الاثنين من عام 1283هـ/ 1866م عن عمر يناهز الخمسة وسبعين سنة، وفن بإشارة منه في عرش أولاد الأكرد بضواحي مدينة تيارت، بعد أن ذاع صيته في الآفاق، وتخر على يديه عدد من الشيوخ والعلماء داخل الوطن وخارجه.

التعريف بالكتاب:

يندرج الكتاب ضمن فلسفة التصوف، حيث اعتمد صاحبه على ثنائية النسب الروحي والنسب الطيني. وهي لغة تختلف عن اللغة العادية التي تدافع عن النمط الصوفي المتجسد في ما يصطلح عليه «الصوفية العالمة» أو «الولاية العالمة». التي تستنير وتستضيء بهدى المنقول المتواتر..وقد قال الشافعي: إذا لم يكن العلماء أولياء الله، فليس لله ولي؛ وأما الولي بلا علم، فالعداوة أقرب إليه من المحبة« . ويعطي أهمية كبرى لشيخ والمريد ومسالة التربية ومحبة الشيخ وغيرها من القضايا الهامة التي تشكل الوعاء العام لتصوف[2].

كما يعد "الكتاب" وثيقة علمية نادرة، كفيلة بإثراء الوعي الفلسفي الصوفي، والتفكير الديني والانشغال الأدبي في ذلك الوقت، وهذا ما يعطي الكتاب قيمته التأليفية المرتبطة أساساً بمكانة مؤلفه العلمية والدينية. الروحية.

والشيخ سيدي عدة مثله مثل باقي أهل السلسلة العرفانية، يعرض في هذا المؤلف مسالة النسب من منظور باطني. فهو بهذه المعادلة يلتقي مع المعادلة الربانية في وصف النسب الطيني لدى ابن سيدنا نوح عليه السلام بأنه "عمل غير صالح": "وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ"[3].

مما يفيد أن النسب الحقيقي هو النسب الروحي.."نسب القلب" الذي ينتج عن زواج أثيري روحي متعال بين قلب المريد وقلب الشيخ فقلوب المشايخ في السلسلة الصفوة، وعليه فمسألة احترام المريد للشيخ وتقديره والذوبان في محبته والإخلاص له من المسائل

[1]- قد أهدى لنا معالي وزير الشؤون الدينية والأوقاف الدكتور بوعبد الله غلام الله نسخة منها إلى جانب نسخة الشيخ أبي عبد الله شراك. يقع هذا الكتاب في جزأين ويوجد بالخزانة العداوية بتيارت.

[2]- ينظر دراسة: العربي بوعمامة، الكتابة المنقبية، رسالة ماجستير مخطوطة، إشراف أ. د طيبي محمد، علم الاجتماع، جامعة وهران، 2005م.

[3]- سورة هود، الآية:45.

المحسومة في الفكر التصوفي بشكل عام وعلاقة الشيخ بالمريد تنطلق من القول في الأوساط الشعبية والنخب الصوفية، يرسمان العلاقة بينهما " من لا شيخ له فشيخه الشيطان".

ويرى الدكتور عمار يزلي أن الشيخ سيدي عدة، كثيرا ما يؤسس لهذا الجانب الأساسي في نسج الرابطة القلبية بين أتباع الطريقة الواحدة أو ما بين الطرق المختلفة التي كلها تمثل الطريق إلى الله. فالرضاعة المادية، معروف عنها أنها من المسائل الأساسية في ربط تلك العلاقة النموذجية في المحبة: الأمومة. فالرضاعة مع التربية تتمم فعل الولادة.. والولادة بدون رضاعة وبدون تربية تفقد الوالدة أمومتها فيما تحتفظ فقط بالجانب الوضعي :الولادة. كما أن الوالد قد يفقد خاصية الأبوة إذا ما فقد العلاقة مع مولوده التي هي علاقة التربية، وعلى هذا الأساس ينبغي أن نفرق بين الأم والوالدة من جهة والوالد والأب من جهة ثانية[1].

يركز الشيخ سيدي عدة على النسب القلبي باعتباره أساس استمرار المحبة الروحية والتفاني فيها، ذلك أنه يرى أن المحبة المطلقة بين الشيخ والمريد هي ولادة ثانية، بل الولادة الحقيقة والأولى، لأنها ناتجة عن فتح القلب وليس عن عمل الصلب..

الحب والمحبة القرابية الدموية (الطينية)، تبقى محبة مبنية على المصلحة وإن داخلها الجانب العاطفي الحسي إلا أن المادية تطغى على العاطفة المطلقة إذا لم يكن الحب حبا روحيا أساسه النسب القلبي..المحبة الدموية الطينية محبة، لكنها لا ترقى إلى حدود المحبة الطلقة التي نجدها في الفلسفة اليونانية كثيرا ما يشار إليها بالحب الأفلاطوني .. أي الحب المثالي..غير المادي المتعالي عن المصلحة[2].

وكذلك النسب الروحي، ليس مسألة جديدة لدى أهل التصوف والعرفانيين بشكل عام، غير أن الصيغة التي اعتمدها الشيخ سيدي عدة والمعادلة التفضيلية المؤسسة لها، فهي حجرة الزاوية في أية طريقة إلى الله، ومن مكونات الفكر الصوفي بشكل عام.

اللغة الصوفية:

[1]- جوهرة المسائل في "خاتمة كتاب الرسائل لأهل الوسائل" قراءة في مفهوم"أبناء القلب"وأفضليتهم على"أبناء الصلب" لدى الشيخ سيدي عدة بن غلام الله، منشورات أشغال الملتقى الأول حول الشيخ سيدي عدة بن غلام الله وآثاره في الفكر والتصوف.طبع جمعية الفكر والثقافة بتيارت. 1999. ص:120.

[2]- خاتمة كتاب الرسائل لأهل الوسائل، المصدر السابق، ص:12.

استعمل المتصوفة لغة خاصة كأداة تعبير عن تجربتهم، من حيث الأسلوب، المصطلحات، الرموز، الإشارات والتأويل، ويستعمل الصوفي الشعر والمناجاة والأوراد، والجمل المسبوكة والقصيرة والأحكام والمحاورة وما إلى ذلك مما نجده من أشكال تعبيرية مماثلة في كتاباتهم.

فهذه اللغة غير شائعة ومثيرة للدهشة؛ بحيث تصدم الحس المألوف فليست المصطلحات وحدها جديدة، بل أن الكلمات تأخذ وظيفة مختلفة ومعاني جديدة. ولذا عبر المتصوفة باللغة " والتي يعاد بفضلها إنتاج أو تمثيل أو نمذجة الواقع والحدث أيا كان مصدره وتوسعوا في أشكال التعبير التي سمحت بها اللغة، وشكلوا نسقا خطابيا مختلف المكونات والظواهر النصية من شعر وقصص وأدعية ومناجاة"، وحكم وأخبار تنظمها مجموعة من القوانين التي تحكم العلاقات والتفاعلات فيما بينها، قصد بلوغ هدف معين وكتعبير عن تجربتهم في الاتصال بالله، هي تجربة معرفية عاطفية كما أنها تجربة في الكتابة والإبداع ."لقد عبر المتصوفة أنه بإمكانهم أن يؤمنوا لأنفسهم عالما قابلا للمعرفة وهذا العالم هو ما افترضوه وقصدوه[1].

مقتطفات من كتاب خاتمة الرسائل لأهل الوسائل

للشيخ سيدي عدة بن غلام الله

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والشكر لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبئين، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا جزيلا مباركا طيبا في الدنيا ويوم الدين، آمين،آمين، آمين.

فمما يجب به الاعتناء فتح باب القلب[2]، فهو أول قدم السائرين في طريق الوصول لمعرفة الرب قال الله عنه ووفقه وأعانه لما به بلوغ هذا المقام بجاه سيدنا محمد عليه السلام:لما انتهت رسائل المحبين أولاد القلب، المحبوبين أفضل من أولاد الصلب، كما هو محقق عند المشايخ الربانيين، وأرثى أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام، إذ هم رضي الله عنهم ورضوا عنه

[1]- العربي بوعمامة، الكتابة المنقبية، المرجع السابق، ص:99.

[2]- يشير إلى هذا قول الدكتور عمار يزلي في مقال له: حول قضية أولاد القلب، بقوله:" "ابن القلب"، يربطه رابط القلب بأبيه.. والقلب هنا يقصد به تلك المضغة التي إذا صلحت صلح الجسم كله. .والتي لا تتوقف لحظة عن النبض دلالة على الحياة وعلى الحركة. .لهذا سميت قلبا، فقلب الشيء في اللغة العربية هو أهم شيء في الشيء!. لهذا ترى الشيخ سيدي عدة يستعمل هذه المعادلة التقريبية لإفهام العامة فهم الخاصة. عمار يزلي، سيدي عدة بن غلام الله: خاتمة كتاب الرسائل لأهل الوسائل .منشور أشغال الملتقى الأول حول الشيخ سيدي عدة بن غلام الله وآثاره في الفكر والتصوف. طبع جمعية افكر والثقافة بتيارت. 1999. ص:120.

ورضي عنا بهم أعظم منزلة على أولاد الصلب[1] لشرفهم العظيم لأنهم خرجوا من نور ذكر القلب الذي هو بيت الرب كما قال في حديث القدس عن المبلغ عنه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، يقول الله جل جلاله وتقدست أسماؤه: "لا تسعني أرضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن"[(2)] إلخ الحديث. يقول في مقام القلب المجرب الصحيح خديم المحبين:

الذاكرون بالقلب شربوا نعم الشراب أخبارهم صحيحة لا شك ولا ارتياب
علومهم جليلة أعمالهم صواب سكنى ملك عظيم سماء بلا سحاب

وهذا من المجرب عند العبيد، أن القلب يذكر كذكر اللسان صراحة بحرف وصوت، وكذلك الجوارح تذكر كما صح عند أحبابنا المشرفين على أولاد الصلب، ولشرفهم ورد الوحي الخارج لهم في الوسائل خلفا عن سلف من أول الأقطاب إلى مشائخنا أجمعين، كل واحد منهم له علم يخصه. وقليل أن تتكرر الرسالة. فهم - رضي الله عنهم – كالأشبال عند النورانية[3] حتى أن لو كانت آلاف الألوف من أهل البدايات يتكلم لهم بعلم البدايات، ولو كانت آلاف الألوف من أهل النهايات يتكلم لهم بذلك، ولا يكل. وكذلك حال المذاكرة يتكلم بعلم أهل البدايات ويتكلم بعلم أهل النهايات، وكل واحد يدله الله على علمه ويفهمه من أجله.
فتارة في الأعمال يتكلم وتارة في الأحوال وتارة في المقامات، ولهذا قال له:

[1]- يقول الدكتور عمار يزلي:" بينما لا تمثل بنوة الصلب سوى مجرد بنوة بقوة الفعل أي تحصيل حاصل شكلي لصلة شكلية.. وهذا ما حاول الشيخ سيدي عدة التركيز عليه، بل والتأسيس عليه لفكرة المحبة المطلقة والنسب الشريف ..فالشريف بصالح الأعمال لا بالنسب الطيني أو الانتساب إليه دمويا ومناصبته العداء قولا وعملا. هكذا كنا كثيرا ما نجد شيوخ التصوف في حالات خاصة لا يفضلون رؤية أحد من غير أبناء القلب، والأكثر قربا منهم، مفضلينهم حتى على أبناء الصلب. .باعتبار أن الصلة بينهم هي صلة أرضية ترابية طينية بينما الصلة بينهم وبين ابن القلب صلة روحية متعالية. عمار يزلي، سيدي عدة بن غلام الله: خاتمة كتاب الرسائل لأهل الوسائل، ص:120.

[2]) ذكره: ابن عجيبة، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تح: أحمد عبد الله القرشي رسلان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2002م. ص:65.

[3]) ويعد الحلاج من كبار الصوفية الذين تغنوا بالذات الربانية، وقد استطاع أن يبرهن على وجود الله اعتمادا على التجلي النوراني والمحبة الروحانية التي يعجز عن إدراكها أصحاب الظاهر والحس المادي:

لم يبق بيني وبين الحق اثنان ولا دليـل بآيات وبرهان
هذا وجودي وتصريحي ومعتقدي هذا توحد توحيدي وإيماني
هذا تجل بنور الحق ناثره قد أزهرت في تلاليها بسلطان
لا يستدل على الباري بصنعته وأنتـم حدث ينبي عن أزمان

أبو عبد الرحمن السلمي: طبقات الصوفية، طبعة ليدن، 1960م، ص: 153.

علومهم جليلة أعمالهم صواب

وكذلك في الأمور الغيبية حتى يقول المحب، إنه كشف عن حالي. ولهذا قال:

أخبارهم صحيحة لا شك ولا ارتياب

وكل ذلك من فتح القلب. فلهذا المقام الرفيع قال ش

يخ كشائخنا سينا علي الشاذلي، رضي الله عنه وأرضاه عنى: أن لو كانت الأشجار أقلاما والبحور مدادا لنفذت ولا ينفذ ما عندي. قال تعالى:" مَا عِنْدَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ"[1]. قوله عندكم من العلوم الكسبية، وما عند الله العلوم الوهبية. فانظر رسائل كل أحد تجد ما ذكر من العلوم المذكورة. وآخر ذلك رسائل العبيد إلا فضل الله العظيم بمنته بهم. كما قال: ما تصدر أستاذ للمريدين حتى فاضت عليه أنوارهم. فيخرجون من نور القلب كما تفيض شهوة أولاد الصلب فيخرجون من ماء الصلب.

[القلب]

وما به إعلامك والله الفتاح العليم إنما ذكرت هذا القلب لأجل ما فتح لي. فما من أحد يفتح له باب يدخل منه إلا يذكره ويمدحه غاية جهده. سنة الله في خلقه. وقد قال شيخ مشائخنا شيخ الجن والإنس والملائكة، سيدنا ومولانا عبد القادر الجيلاني[2] رضي الله عنه وأرضاه عني وجدت كل باب عامر حتى وجدت باب الذل فراغا فدخلت منه.

وقال أستاذ أستاذي سيدنا مولاي العربي الدرقاوي[3] رضي الله عنه وأرضاه عني: وجدت المفتاح يد رجل عامي لا يعرف لا قدرا فأخذته من يده وقسته على الباب فانفتح. وقال أستاذي رضي الله عنه وأرضاه عني: لما من الله علي قبضت ذكر الاسم الأعظم الله. الله. الله. فألهمني الرب الكريم فدخلت قبة لبعض الصالحين رضي الله عنه ونويت نواصل فيها سبعة أيام

---

[1]) سورة النحل، الآية:96.

[2]- عبد القادر الجيلاني (471-561هـ=1078-1166م) عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن جنكي دوست الحسني، أبو محمد، محيي الدين الجيلاني، أو الكيلاني، أو الجيلي: مؤسس الطريقة القادرية، من كبار الزهاد والمتصوفين، ولد في جيلان. وانتقل إلى بغداد شابا، سنة 488 هـ، فاتصل بشيوخ العلم والتصوف، وبرع في أساليب الوعظ، وتفقه، وسمع الحديث، وقرأ الأدب، واشتهر. وكان يأكل من عمل يده. وتصدر للتدريس والافتاء في بغداد سنة 528هـ وتوفي بها. من مؤلفاته:" الغنية لطالب طريق الحق" و" الفتح الرباني " و" فتوح الغيب " و" بالفيوضات الربانية ". خير الدين الزركلي، الأعلام، ج4، ص:47.

[3]- من ذرية أبي العباس سيدي أحمد بن المولى إدريس الأنوار بن مولانا إدريس الأكبر. ولد مولاي العربي أوائل النصف الثاني عشر بقرية عبد الله من قبيلة بني زروال. نشأ بها وتعلم القراءة وحفظ القرآن الكريم، وعندما صححه وأتقنه بالروايات السبع، اشتغل بطلب العلم فرحل لمدينة فاس وأقام بها مدة قرأ خلالها على أكابر علماء وقتها ما قدر الله له من العلوم. ينظر: مولاي العربي الدرقاوي، رسائل مولاي العربي الدرقاوي المسماة بشور الهدية في مذهب الصوفية، تح: عاصم الكيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2009. والامام مولاي العربي الدرقاوي، مجموعة رسائل مولاي العربي الدرقاوي الحسني، تح: بسام محمد بارود، المجمع الثقافي، الإمارات العربية المتحدة، أبو ظبي، ط1999.

نذكر الاسم ولا نأكل ولا نشرب ففعلت ذلك، ثم أتتني سنة مثل النوم فرأيت القبة مملوءة نورا الخ ما ذكره رضي الله عنه ورضي به عنا في الدنيا ويوم الدين آمين، آمين، آمين.

وأما العبيد خادم المحبين لما أن أراد الله به خيرا ألهمه إلى العزلة فاعتزل سبعة أيام من غير مواصلة، بل صائما. وعند المغرب يفطر فطورا قدر ما يسد الرمق ويشرب. فما تم سبعة أيام حتى انطبع الاسم في قلبه، فوجده ذاكرا، سواء كان هو ذاكرا باللسان أو صامتا. وبعد خروجه من العزلة بقي عليه منسحبا أياما عديدة فأتاه في تلك الأيام فقيه من إخوانه أولاد الشيخ الكبير سيدنا أبو عبد الله رضي الله عنه يطلب الاستخارة مع المشورة يريد أن يخرج البلاد. فبمجرد ما تكلم معه ورد في قلب العبيد المسؤول قوله تعالى ((فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ))[1] الخ لأن السائل كان مدرسا في القرآن العظيم وأراد أن يترك الجامع فلما سمعها منه سكن حاله وبقي مدرسا في القرآن والفقه حتى انجذبت له جميع القلوب وشعلت قنديلة قلبه فتزوج وعمر عمارة جيدة.

فلذلك ذكرت هذا الباب العظيم كما قال أستاذي رضي الله عنه: كلما يقع للمريد في البدايات فهو دليل على صحة طريقه تثبيتا له وتشويقا لفتحه إنه من أهل الفتح. ولذا قيل للشيخ عبد القادر رضي الله عنه: زحمتوناني الأعمال وأردتم تزاحمونا في الإسعاد. الإسعاد لا تزاحم. لله درهم رضي الله عنهم أجمعين ورضوا عنه. ولكن لكل مجتهد نصيب، ولا يخلو أحد مما عمل. قال صلى الله عليه وسلم: "من جدّ وجد"[(2)] وقال صلى الله عليه وسلم: تحركوا ترزقوا[(3)] الخ الحديث، الجامع بين الحس والمعنى.

وما به إعلامك وربك الفتاح العليم ذو الفضل العظيم إن أردت أن تشاهد بعينك وتسمع بأذنك فعليك بذكر الاسم الله، الله، الله، باللسان حتى يتمكن من القلب، فإذ تمكن من القلب يسري في عوالمك، وهم الجوارح كاليدين والرجلين حتى في عروقك ودمك ولحمك وعظمك كالسريان الماء في الشجر والأغصان فيثمر الجنان وهو القلب النوراني بالعلوم الوهبية اللدنية التي قال فيها تعالى:" وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً "[4] يقول مجربها فصحت عنده وعند أحبابه بمنة الله وكرمه.

---

[1]- سورة الزخرف، الآية:43.

[2]- هذه حكمة أو مثل وليس حديث ينسب للنبي صلى الله عليه وسلم.

[3]- هذا مثل وليس حديث ينسب للنبي صلى الله عليه وسلم.

[4]- سورة الكهف، الآية:65- 66.

ثمرة العلم العمل، وثمرة العلم والعمل الإخلاص، وثمرة الإخلاص عمل لا يطلع عليه الناس من الجن والملائكة والإنس، أي لا يطلع عليه شيطان يفسد ولا ملك يكتبه ولا إنسان يمدحه. فهذا أول قدم من أقدام الوصول. ولعز هذا المقام، مقام القلب كان لبعض المشايخ الأقدمين رضي الله عنهم أسماء يذكرونها في الخلوات ويدعون بها.(اللهم أعطني مفتاح قلبي)الخ. لأنه إذا ملك الوجود باسره سفلي وعلوي من جميع جوارحه كلها أعلاه كالعينين والأذنين واللسان، وأسفلها كالفرج والرجلين حتى يصيرون لا يتصرفون إلا برضاه وهو فيما يرضي الله.

وفي الحديث النبوي على صاحبه الصلاة والسلام كل صباح يوم يشتكون الجوارح للقلب: "إن استقمت استقمنا" الخ، لأنه سلطانهم وهم رعيته. فعلى ما كان يكونون. ومما أستاذ كل أستاذ سيدنا ومولاي علي الشاذلي رضي الله عنه في دعوة مفتاح القلب الاسم السادس من الأسماء العظام (سقفا طيس)[1] للفتح على القلب. تقول: يا سلام الخ ثم تقول:" أسألك بالأسماء العظام أن تعطيني مفتاح قلبي الخ"، وكل ما ذكرته هنا من علوم الأقدمين رضي الله عنهم أجمعين إلا ليتحقق العاقل أن ذكر القلب فتح.

[فضائل القلب]

ومن فضائل القلب أن الذاكر باللسان له الحسنة بعشرة كما قال تعالى: ((مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا))[2] الخ الآية. والذاكر بالقلب الحسنة بسبعين أو بسبعين ألفا.

وفضل ذكر القلب على اللسان كفضل صدقة السر على الإعلان الخ. يقول من جربه فصح كنار على علم.

[1]- يقال أن اسم الله الأعظم هو:" طهور بدعق محببه صوره سقفاً طيس سقاطيم أحون قاف أدم حمهاء آمين". وقد قال الإمام مالك رحمه الله في هذه الألفاظ السريانية والعبرانية والعجمية: وما يدريك لعلها تكون كفراً. محمد عبد السلام خضر الشقيري، السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات، تح: محمد خليل هراس، دار الفكر، ص:267.

[2]) سورة الأنعام، الآية:160.

يا من تريد ان ترتحم	وتري الفتح القريب
اسمع من شيخ محقق	واذكرن ذكر القلب
اسم الله المعظم	متصلا حتى تغيب
يظهر سر منك فيك	وهذا شيء عجيب
تسمع وتنطق به	وترى الغيب بالغيب
أنت الغيب والحاضر	فمثل الكون بلا ريب
هذا المقام صح عندي به	والشاهد بالتجريب
سقي الأحباب	شربوه بالتدريب

ولما أن ذكرناه بحضرة أكابر أولاد القلب ضج أكبرهم مقاما وغشي عليه فشرعوا في الحضرة التي هي وقت الشهود والعيان. لله الحمد والشكر والفضل والمنة. أكرم الرب الكريم هذه الطائفة البوعبدلية الدرقاوية الشاذلية الجيلانية النبوية بفتح ذكر القلب بلا مشقة عظيمة كأهل الدعوات والأسماء. كما تقدم.

حتى أن بعضنا من أولاد قلبنا فقيها مدرسا ذكر الاسم الأعظم الله. الله من طلوع الشمس في خلوة صائما. فلما أتانا عند غروب الشمس أخبرنا بذكر القلب وصحته بعد أن كان متحيرا كيف يذكر القلب. فأول النهار في ريب وآخره في صدق.

ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده. أدامه الله لنا ولعواقبنا وأحبابنا خلفا عن سلف إلى سيدنا عيسى بن مريم على نبينا ومولانا محمد عليه الصلاة والسلام.

[الذكر]

وما به إعلامك. والله الفتاح العليم أن تمكن الذكر من القلب فمنه غاية الحب. ومنه الرقي شيئا فشيئا إلى أعلى الرتب. ولم يحصل لنا بتدبير ولا تفكر ساعة أفضل من عبادة سبعين أو ثمانين سنة، وإنما حصل لنا ولأحبابنا بمنة الله وكرمه بالعزلة على الخلق والصيام أيامها وذكر الله. الله. الله. على الدوام ما دامت فيها بلا عدد ولا نوم إلا من غلبة، ولا كلام مع أحد ولا خروج إلا في ليل والطهارة الدائمة وذكره بين جهر وخفي قدر ما تسمع نفسك ولا تزيد على الصلوات الخمس مع الرواغب شيئا. بل ذكر الله. الله. الله على الأبد كما قال عليه الصلاة

والسلام من قوة المحبة إدمان ذكر المحبوب. وقال: "يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ"[1] فإذا أحببته غبت عن كل محبوب فثبت في القلب ذكره لثبوت حبه فيصير ذكره دائما في القلب.

سواء كنت ذاكرا أو صامتا أو آكلا أو شاربا أو مناكحا. وإن حصلت لك نكبة أو غفلة يفرغ القلب به من حيث لا يشعر، تجهد ذاكرا من غير...عليك. فصاحب ذكر اللسان مكلف حامل، وصاحب ذكر القلب محمول هنيئا. فهو الذكر الذي قال فيه تعالى: ((وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا))[2] الخ الآية.

قال أستاذي سيدي مولاي العربي بن عطية البوعبدلي رضي الله عنه وأرضاه عني في الدارين ونسله وأحبابه أجمعين آمين. آمين. آمين قال: كنت مدمنا على ذكره أياما حتى صارت الخلائق تسمع الزعيل من قلبي من بعيد. وإذا وقع بي ذلك وأنا قائم في الصلاة يقطع الصلاة عني وأسابق الخواطر الباطنية على أن نسبقها بذكر الاسم فضعفت تلك الخواطر من قلبي واستقر الاسم فيه حتى صار يفزع به. اهـ.

خاتمة:

نأمل أن تكون هذه الدراسة المتواضعة قد عرّفت بأحد مصنفات الشيخ سيدي عدة بن غلام الله السلوكية ذو البعد الروحي العرفاني، ثم إن عناية الباحثين بهذا النوع من الحقول المعرفية من شأنه أن يثري ملكتهم المعرفية، كما يمكن أن يكون إضافة علمية إلى مكتبة التراث السلوكي الروحي بالجزائر عموما وبالغرب الجزائري على وجه الخصوص. لقد حاول الشيخ سيدي عدة بن غلام الله المربي والمعلم والأستاذ من خلال تأليفه " خاتمة الرسائل لأهل الوسائل" أن ينير عقول المريدين والأتباع إلى ضرورة التأكيد على أن الشيخ سيدي عدة بن غلام الله أراد لنا ولمريديه وأتباع الطريقة البوعبدلية، نسبة إلى هذا "العبيد" كما كان يلقب نفسه تأدبا مع الله وتحقيرا للنفس وتواضعا أمام الله وأمام المشايخ أهل الوسيلة، كما يشير الدكتور عمار يزلي إلى أن الشيخ سيدي عدة بن غلام الله حاول أن يوضح لنا معنى الرابطة الروحية وعلاقة القرابة الحقيقة التي تسمو على كل أشكال القرابات الفزيولوجية التي قسمت الناس إلى أسر وبيوتات وعشائر وقبائل وسلالات، متصارعة متحاربة أحيانا باسم الرابطة

[1]) سورة المائدة، الآية:54.

[2]) سورة الأحزاب، الآية:35.

الدموية وباسم النسب التي بنى عليها بان خلدون كل نظريته في الحراك الاجتماعي، باختصار عصبية النسب الطيني وعصبية أبناء الصلب[1].

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم
الحديث الشريف

1) أبو راس الناصر وكتاباته التاريخية، رسالة ماجستير مخطوطة، إشراف أ.د بن نعمية عبد المجيد، جامعة وهران، 2003م.
2) بلغيث محمد الأمين، مدراس العلم والقرآن الكريم بالغرب الجزائري، منذ القرن التاسع الهجري، الخامس عشر الميلادي، قراءة تاريخية.
3) بوعمامة العربي، الكتابة المنقبية، رسالة ماجستير مخطوطة، إشراف أ. د طيبي محمد، علم الاجتماع، جامعة وهران، 2005م.
4) حمدادو بن عمر، محمد أبو عبد الله المغوفل، (828-923هـ) دفين وادي شلف والتعريف بكتابه فلك الكواكب وسلم الرقيا إلى المراتب، "المجلة الجزائرية للمخطوطات، مخبر مخطوطات الحضارة الاسلامية في شمال إفريقيا، جامعة وهران، ع5، 2008م، ص ص: 183-194.
5) الحِميري محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، طبع على مطابع دار السراج، ط2، 1980.
6) الزركلي خير الدين، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ط1980، ج1.
7) الدرقاوي مولاي العربي، رسائل مولاي العربي الدرقاوي المسماة بشور الهدية في مذهب الصوفية، تح: عاصم الكيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2009.
8) الدرقاوي مولاي العربي، مجموعة رسائل مولاي العربي الدرقاوي الحسني، تح: بسام محمد بارود، المجمع الثقافي، الإمارات العربية المتحدة، أبو ظبي، ط1999.
9) السلمي أبو عبد الرحمن، طبقات الصوفية، طبعة ليدن، 1960م.
10) الشقيري محمد عبد السلام خضر، السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات، تح: محمد خليل هراس، دار الفكر.
11) الشيخ شراك أبو عبد الله، وثيقة تاريخية تثبت نسب سيدي عدة بن غلام الله، مسجد الشريفية، وهران.
12) الشيخ شراك أبو عبد الله، مخطوط نبذة حول حياة الشيخ سيدي عدة بن غلام الله، مخطوط خزانة الشيخ أبو عبد الله شراك. مسجد الشريفية، وهران.
13) ابن عجيبة، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تح: أحمد عبد الله القرشي رسلان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2002م.
14) عمار يزلي، جوهرة المسائل في "خاتمة كتاب الرسائل لأهل الوسائل" قراءة في مفهوم"أبناء القلب"وأفضليتهم على"أبناء الصلب" لدى الشيخ سيدي عدة بن غلام الله، منشورات أشغال الملتقى الأول حول الشيخ سيدي عدة بن غلام الله وآثاره في الفكر والتصوف. طبع جمعية الفكر والثقافة بتيارت. 1999.
15) غلام الله بوعبد الله، **نظرة عامة على التعليم الأهلي في سهل الشلف خلال النصف الأول من القرن العشرين** (أعمال الأسبوع الوطني الثالث للقرآن الكريم) الجزائر، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف **1424هـ/2003م**.
16) Belhamissi(m), Mazouna, une petite ville, une langue histoire, Alger, SNED,1982.

[1]) عمار يزلي، سيدي عدة بن غلام الله، خاتمة كتاب الرسائل لأهل الوسائل، ص:120.